المحاضرة الثانية **لسانيات النص النشأة والتطور**

تمهيد:

انكشف القرن العشرين عن ذلك الكدّ المنهجي في تعقب النص الأدبي في محاولة لإحكام السيطرة عليه عبر آليات نقدية حديثة تكشف مكامنه وتستجلي قدراته التأثيرية أثناء عملية التلقي. تَبَنَّى هذه الآليات النقدية تيار علمي جديد عرف "بلسانيات النص"[1]"*Linguistique textuelle*".

مفهوم لسانيات النص:

لسانيات النص حقل معرفي جديد جاء بديلا لمناهج التحليل اللساني السابقة فحوّل مجرى الدراسات اللسانية من لسانيات الجملة/البنوية إلى لسانيات النص. ظهر هذا التيار العلمي في النصف الثاني من الستينيات إلى النصف الأول من السبعينات من القرن20، واضطلع"**بدراسة بنية النصوص وكيفية اشتغالها، وذلك من منطلق مسلمة منطقية تقضي بأن النص ليس مجرد تتابع مجموعة من الجمل، وإنما هو وحدة لغوية نوعية (*Une unité linquistique spécifique*) ميزتها الأساسية الاتساق والترابط**[2].وكان بذلك بديلا لمناهج التحليل الوصفية، فحدثت النقلة النوعية من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص.

جمع هذا التيار البدائل النقدية وجعلها تتقاطع فيما بينها وتتضافر للكشف عن الظاهرة الأدبية من خلال التعامل معها من حيث هي كل متكامل لا يقبل التجزئة، متجاوزا بذلك الحد الكلاسيكي الذي وضعه البنويون والذي قوامه وصف مستوى لساني محدد دون التطرق إلى علاقة التضام التي تربطه بسائر المستويات اللسانية الأخرى، منطلقا من رؤية شمولية تنزه النص عن أن يكون مجرد تتابع من الجمل تدرس بمعزل عن بنيته الكلية، **فصار لهذا التوجه** اللساني الجديد **ملامح نقدية** تمثلت في **رصد الروابط النصية من جهة وتأكيد ضرورة المزج بين المكونات اللغوية المختلفة** من جهة أخرى، لأن المعنى الكلي للنص يتأتى من خلال التعامل معه بوصفه بنية كبرى. فالنص ينتج معناه إذن بحركة جدلية لا تتمثل في الانتقال من الجزء إلى الكل، وإنما على وجه الخصوص بالتكييف الدلالي في ضوء البنية الكلية الشاملة للنص[3].

الملاحظ أن **تسميات هذا المنهج اللساني متعددة**، وقد يرد ذلك إلى أنه ما زال يتلمس طريقه نحو النضج من جهة، ثم إن نشأته لم ترتبط ببلد بعيه من جهة ثانية، فمن الطبيعي أن تتباين ترجماته بتباين الأصول المترجم عنها، حتى يمكن ملاحظة تعدد هذه الأسماء في البحث الواحد، فمن لسانيات النص*linguistique textuelle*- إلى علم لغة النص، إلى نحو النص *grammaire du texte*، إلى علم النص، *science du texte* إلى تحليل الخطاب *discours du Analyse*، وإن كان بعض الباحثين لا يفرق بين هذه المصطلحات، فإن بعضهم الآخر يرى فيها

---

[1]– تعددت المصطلحات العربية المقابلة للمصطلح الأجنبي (*Linguistique textuelle*)، فهو عند سعيد حسن بحيري: علم لغة النص. في كتابه: "علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، وهو عند صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، في كتابه: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق. أما إبراهيم الخليل فجمع بين المصطلحين ؛ (اللسانيات ونحو النص) في كتابه: في اللسانيات ونحو النص.

[2] – محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص: 59.

[3]– صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص: 137.

اختصاصات قائمة بذاتها، فالمترجمون عن الأصل الفرنسي يفضلون استعمال علم النص*science du texte* والمترجمون عن اللغة الانكليزية يفضلون تداول مصطلح *discours analysis* في حين يفرق بعضهم بين المصطلحين من خلال تنوع المادة اللغوية التي تقع في دائرة اهتمامها فتحليل الخطاب يرتبط أكثر باللغة المنطوقة كالمداخلات المتأصلة في الشفاهية وتحليل النص أو علم النص ترتبط باللغة المكتوبة، والرأي الشائع أن لسانيات النص علم يدرس النصوص المكتوبة والمنطوقة على السواء وإن ظلت كلمة نص ألصق بالمطبوع والكتابة.

وعليه، يرى محمد خطابي أن "نحو النص" و"لسانيات النص" و"علم النص"... وما يشبهها من "نحو الخطاب" و"لسانيات الخطاب"... ليست مترادفة، وإنما هي محيلة على التحولات التي شهدتها المباحث المختلفة التي عنيت بالنص وأسئلته... دون أن يغيب عن بالنا أن التحولات ليست ثمرة انغلاق المبحث على ذاته، وإنما تتم بتأثير العلوم المجاورة له"[4] إلا أن تعريفاته تكاد تتفق على أنه" **فرع من فروع علم اللغة يدرس النصوص المنطوقة والمكتوبة... وهذه الدراسة تؤكد الطريقة التي تنتظم بها أجزاء النص وترتبط فيما بينها لتخبر عن الكل المفيد**[5] وإن كان "**ديفيد كريستال**"(*David Crystal*) يذكر أن تحليل الخطاب يرتبط بتحليل اللغة المنطوقة، بينما تحليل النص يرتبط بتحليل اللغة المكتوبة[6]، كما تهتم لسانيات النص" **بدراسة مميزات النص من حيث تماسكه ومحتواه الإبلاغي التواصلي**[7] من خلال دراسة النص باعتباره وحدة لغوية كبرى، وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمها الترابط أو التماسك ووسائله وأنواعه والإحالة أو المرجعية وأنواعها والسياق النصي ودور المشاركين في النص(المرسل والمستقبل) وهذه الدراسة تتضمن النص المكتوب والمنطوق على السواء[8] مع اعتبار أثر السياق في الملفوظات اللغوية التي تكفل للنص ترابطه وانسجامه (أدوات الربط: الإحالة، التكرار، الاستبدال، التوازي...) أي دراسة مختلف العلاقات بين الجمل والنظر في مدى انتظام هذه العلاقات داخل النص، دون تهوين دور المبدع والمتلقي في النص عند انتاجه وتلقيه، سواء كان منطوقا أو مكتوبا. وهو ما يتوافق مع ما ذهب إليه"**نيلز**" (*Nils*) حين رأى أن **علم لغة النص يعني الدراسة للأدوات اللغوية للتماسك النصي، الشكلي والدلالي. مع تأكيد أهمية السياق وضرورة وجود خلفية لدى المتلقي حين تحليل النص**[9] وهو ما يجعل التحليل اللساني النصي يتسع لتصير بموجبه اللسانيات النصية ذلك العلم الذي"**يراعي في وصفه وتحليلاته عناصر أخرى لم توضع في الاعتبار من قبل، ويلجأ في تفسيراته إلى قواعد دلالية ومنطقية إلى جوار القواعد التركيبية ويحاول أن يقدم صياغات كلية دقيقة للأبنية النصية وقواعد ترابطها. وبعبارة موجزة قد حددت للنص مهام بعينها لا يمكن أن ينجزها بدقة إذا التزم حدّ الجملة**[10].

كشف هذا التعريف بوضوح عمّا تميزت به لسانيات النص عن باقي أنشطة التحليل الأخرى من قواعد إجرائية

---

[4]- محمد خطابي، لسانيات النص وتحليل الخطاب، محاولة، تساؤل وتدقيق، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي بجدة، السعودية، ع41، 2004، ص: 92.

[5]- صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2000، ج1، ص: 35.

[6]- المرجع نفسه، ص: 35.

[7] - ج.ب. براون، ج. يول، تحليل الخطاب، تر/ محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية، (دط)، 1997، ص: 30.

[8] - صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، ص: 36.

[9] - المرجع نفسه، ص: 35.

[10]- سعيد حسن بحيري، علم لغة النص ، المفاهيم والاتجاهات، مرجع سابق، ص: 134، 135.

وآليات التحليل النصي وبالأخص **لسانيات الجملة التي اخرجت الجانب الدلالي من مجال اشتغالها، في حين لم تهتم لسانيات النص بالوقائع اللغوية المشكلة للبنية النصية فحسب بل تعدى اهتمامها بالوقائع غير اللغوية لاكتشاف تلك العمليات المعرفية والاستراتيجيات التي تحكم عمليات انتاج النصوص وفهمها**[11]، ولعل ذلك ما يبرر تجاوزها حدود الجملة إلى دراسة الابنية النصية بكل مستوياتها نحوية كانت أو دلالية من جهة، وبحثا لأشكال التواصل واستخداماتها اللغة والسياقات المختلفة من جهة أخرى[12].

تأكد مع "لسانيات النص" أن النص ليس مجرد وعاء لوحدات معجمية، بقدر ما هو بنية وعلاقات لها دلالات عميقة يستدعيها السياق والمقام، كما أن اللسانيات النصية هي من أكثر المناهج اللسانية المعاصرة تبلورا وإفادة من المقولات اللسانية السابقة واستيعابا لها، بحيث جمع هذا المنهج بين العديد من العلوم التي تدرس هي الأخرى النصوص اللغوية بشكل من الأشكال منها : الانثروبولوجيا، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، والفلسفة وفقه اللغة، كما أفاد هذا المنهج من مناهج شتى منها التوليدية والتحويلية والتوزيعية والتداولية والوظيفية، حين أخذ من كل منها بطرف إلى الحد الذي سمي بموجبه **بـ" متداخل الاختصاصات"** (*interdisciplinaire*) حيث جمع الأفكار والآراء والدراسات النصية ووضعها في قالب واحد متوسلا بها تفكيك النصوص بصورة شمولية متجاوزا بذلك ما كان سائدا من تقديس للجملة وقواعدها، مرتكزا أثناء اشتغالاته ومقارباته العلمية الخاصة، على منهجية لغوية متميزة، يعالج من خلاله الخطابات مختلفة الأجناس. إنه يؤسس طريقته على عدة مبادئ وعناصر انبثقت من عمل معرفي ورثه عن مناهج سابقة.

الملاحظ أن لسانيات النص قد تطورت عن اللسانيات البنوية، انطلاقا من أعمال العالم السويسري فردينان دي سوسير(*Ferdinand De Saussure*) (1857-1913)؛ صاحب كتاب (محاضرات في اللسانيات العامة)، الذي يعد عمدة هذا العلم دون منازع- لذلك، فمن جاء بعد دي سوسير فهو مدين له سواء أقرّ بذلك أم جحد، **إذ تبدو النقلة النوعية في التوجه الجديد بإخراج الدراسات اللسانية للنصوص الأدبية من الطابع المدرسي، الذي يسلك مسلكا نحويا معياريا، يثير بعض الأسئلة البسيطة المتزامنة حول العمل المدروس إلى منهج جديد يتوخى استخدام وسائل تحليل خاصة تهدف إلى فهم النص من خلال رصد العلاقات التي تربط بين عناصره ومعرفة كيفية اشتغال أبنيته.**

إن المتتبع لنشأة وتطور هذا العلم يجد أن الدعوة إلى العناية بالبعد النصي في الدراسات اللغوية الحديثة كان من اهتمامات القدامى فقد ورد عن"فردينان دي سوسير" **أن وصف عناصر اللغة لا يمكن أن يتم إلا بالنظر إلى علاقة كل عنصر بما عداه من العناصر الأخرى، نظرا لأن أحدا من هذه العناصر لا يمتلك أية قيمة ذاتية إلا بتقابله مع باقي العناصر**[13]، كما أشار في كلام له عن الخطاب إلى "**أن الإنسان لا يعبر بكلمات منفصلة، وأنه لا يمكن أن يكون لهذه الكلمات معنى ولا دلالة على أفكار معينة ما لم توضع في علاقات مع بعضها**[14] وليس"دي سوسير" أول من وقف على أهمية المظهر النصي أو الخطابي للغة، بل إن هناك من الباحثين من يرجع بداية البحث في النص إلى

---

[11] – المرجع نفسه، ص: 220.

[12] – المرجع نفسه، ص: 220.

[13]– زكريا إبراهيم، مشكلة البنيية، مكتبة مصر، (دط)، (دت)، ص: 47.

[14]– محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1، 2008، ص:60.

عمل قام به **(Phil)** سنة 1887، حيث جعل **تتابع اللفظ متعلقا بتتابع الأفكار**، كما قد تكون الباحثة الأمريكية **(I.Nye)** أول من أنجز عملا يمثل إرهاصا واضحا لعلم اللغة النصي أو لسانيات النص في أطروحة الدكتوراه التي أعدتها سنة 1912، بحثت فيها علامات عدم الاكتمال[15]. فإن صح هذا القول يكون للباحثين سبق التأسيس لهذا المنهج العلمي عن "هاريس"، غير أن السبق لا يقاس بالتقدم الزمني بقدر ما يقاس بتقديم عمل تنظيري لهذا النشاط.

على الرغم من الإشارات المتفرقة إلى النص وتصنيفاته المختلفة وتحليلاته، إلا أن البداية الحقيقية للسانيات النص كانت في منتصف القرن الماضي حينما نشر"**زليج هاريس**" **(Zellig Harris)** بحثا عنوان:" تحليل الخطاب" **(Analyse du discours)** في سنة 1952، تجاوز فيه عثرات الدراسات اللغوية التي سبقته بمحاولته الوقوف عند بنية النص وربط اللغة بالسياق الاجتماعي.

ففي الوقت الذي كان أعظم اهتمام اللسانيات بالجملة المفردة بمعزل عن سياقها الذي وردت فيه على أشده، اهتم "**هاريس**" بتوزيع العناصر اللغوية في النصوص، والروابط بين النص وسياقه الاجتماعي[16] حيث قال:" يمكن أن نتصور تحليل الخطاب انطلاقا من ضربين من المسائل هما في الحقيقة مترابطان: أما الأول فيتمثل في مواصلة الدراسة اللسانية بتجاوز حدود الجملة الواحدة في نفس الوقت، وأما الثاني فيتعلق بين الثقافة واللغة (أي العلاقة بين السلوك اللغوي وغير اللغوي)"[17] وبيّن أن سبب قصور الدراسات اللسانية على دراسة الجملة فقط مرده إلى الاهتمام باللغة المنطوقة على حساب اللغة المكتوبة من خلال دراسة النظام اللغوي، وهو ما يؤدي إلى "إغفال وجود جملة طويلة ولا متناهية يعجز النحو عن الإلمام بقواعدها مالم يعتمد على الكتابة التي تسلمنا حتما إلى دراسة النص"[18] .

ولم تكن محاولة هاريس هذه تأسيسا لعلم جديد بقدر ما كانت تعديلا لنظريته وخطوة لنقل المناهج البنوية التوزيعية في التحليل إلى مستوى النص، ولذلك فقد عُدّ عمله إرهاصا لهذا العلم الجديد، ويكون بذلك قد عبد الطريق للعديد من اللسانيين في النصف الأول من القرن 20 الذين أكدوا على ضرورة التأسيس للسانيات تدرس النص/ الخطاب، من بينهم" هارفج **(Harweg)** في 1968 الذي حول وصف التنظيم الداخلي للنص من خلال رصد العلاقات التي تربط بين أجزائه، فأصبح النظر إلى المتتاليات المترابطة على أنها نسيج متشابك لا يمكن الفصل بين أجزائه وهذا النسيج هو النص[19]أما"**لويس يلمسلاف**" **(Louis Hjelmslev)** فقد أقر أن تحليل النص يجب أن يمثل أحد الالتزامات التي لا مناص منها بالنسبة للساني[20]، وهو يلتقي في ذلك مع "**ميخائيل باختين**"**(Mikhaïl Bakhtin)** الذي قال:"إن اللسانيات لم تحاول سبر أغوار المجموعات اللغوية الكبرى كالملفوظات **(Enoncés)** الطويلة التي نستعملها في حياتنا العادية مثل الحوارات والخطابات وغيرها، يجب تعريف هذه الملفوظات ودراستها هي أيضا دراسة لسانية باعتبارها ظواهر لغوية...إن "نحو" الكتل اللغوية الكبرى لا يزال ينتظر

---

[15]– سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، مرجع سابق، ص: 18.

[16]– صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، ص: 23.

[17]– محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس"نحو النص"، جامعة منوبة كلية الآداب، منوبة، تونس، ج1، 2001، ص: 38،39.

[18] – محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص: 62.

[19] – سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، مرجع سابق، ص: ص: 29 وما بعدها.

[20]– المرجع نفسه، ص: 60،61.

التأسيس، فاللسانيات لم تتقدم علميا إلى حد الآن أبعد من الجملة المركبة التي تعد أطول ظاهرة لغوية طالتها الدراسة العلمية، بإمكان اللسانيات إيصال التحليل إلى أبعد من هذا المستوى (مستوى الجملة) ...حتى وإن اقتضى الأمر الاستعانة بوجهات نظر أخرى غريبة عن اللسانيات[21].

أما المؤسس الحقيقي للسانيات النص-باتفاق جل الدارسين- هو الهولندي"فان ديك"**(Van Dijk)** الذي سعى إلى إقامة تصور متكامل حول النص منذ سنة 1972، حيث ظهر كتابه "**بعض مظاهر أنحاء النص**" **(Aspects of textgrammar)** سنة 1972 الذي دعا فيه المحلل أن يسلك طرائق جديدة في التحليل بقف فيها على تحليل المستويات الصوتية والتركيبية والدلالية، أما كتـابه " **النص والسياق**" **(Le Texte et le contexte)**، انطلق فيه من تحليل سيكولساني للخطاب والنص رابطا بين الدلالة والتداولية حيث الأبعاد البنوية والسياقية والثقافية. يقول فان ديك "**(Van Dijk)** :" لقد توقفت القواعد واللسانيات غالبا عند حدود وصف الجمل ... وأما في علم النص فإننا نقوم بخطوة إلى الأمام ونستعمل وصف الجمل بوصفه أداة لوصف النصوص المستخدمة بغية وصف الجمل، فإنّنا نستطيع أن نتكلم عن قواعد النص"[22].

ثم عرفت الدراسات النصية بعد ذلك مزيدا من التطور والضبط المنهجي وظهرت العديد من المؤلفات منها "**بعض مظاهر أنحاء النص**" و"**النص والسياق**" و"**علم النص: مدخل متداخل الاختصاصات**" لصاحبها فان ديك، بالإضافة إلى ظهور أعلام بارزين من بينهم: "**ستمبل**"**(Stempel)** "**جليسون**" **(Gleason)**،"**دريسلر**"**(Dressler)**، **كلاوس برينكر(Klaus Brinker)** ، [23] **روبرت دي بوجراند(Robert De Beaugrand)**.

وقد لاحظ محمد الشاوش فيما ضبطته مجلة **(Bulletin de linguistique)** أن عدد الأعمال التي صنفت تحت عنوان: **Linguistique du texte، Analyse du discours** والتي نشرت بين 1978 و1990 تتراوح بين 94 و298 عملا[24] في العام الواحد ومنه يذهب إلى أنه لم يتم تجاوز نحو الجملة إلا في نهاية الستينيات من ق20، في حين أن سنة 1984 تمثل ذروة الاهتمام بنحو النص وتحليل الخطاب حيث بلغت الأعمال المنشورة فيها 298 عملا"، ومنه فإن علم اللغة النصي لا يزال كما يقول سعيد بحيري :"علما بكرا لم تتشكل ملامح تميّزه عن العلوم الأخرى التي تتداخل معها تداخلا شديدا إلا في السنوات الأخيرة من القرن العشرين(20) على أصح تقدير".

تلك إشارة إلى نشأة لسانيات النص في الغرب، أما انتقالها إلى العرب، فقد كان عن طريق الترجمة، ولعل أول إشارة إليها في الأعمال العربية هي إشارة **نهاد رزق الله** في بحثه (دراسات منهجية في تحليل النصوص)، ويقرر سعيد بحيري بعد ذلك أنه تعرّف على كتاب علم النص(مدخل متداخل الاختصاصات) تأليف فان ديك سنة 1985 حين بدأ يتحول إلى مجال علم اللغة النصي أو علم لغة النص"أما أول إشارة مهمة إلى هذا العلم فقد كانت في بحث سعد مصلوح الموسوم بـ:" من نحو الجملة إلى نحو النص"الصادر سنة 1989 في الكويت. ويمكن أن يكون

---

[21]- سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، ص: 61.

[22]- فان دايك، النص بنى ووظائف مدخل أولي إلى علم النص، تر/منظر عياشي، ضمن كتاب العلاماتية وعلم النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2004، ص: 147.

[23]- محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص: 63.

[24]- محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس"نحو النص"، ص: 76.

أول بحث عربي يستعمل أدوات لسانيات النص هو بحث: انفتاح النص الروائي لسعيد يقطين الصادر في طبعته الأولى سنة 1989 بالدار البيضاء بالمملكة المغربية. ثم توالت المترجمات والبحوث المنشورة باللغة العربية في مجال لسانيات النص.

وظيفة لسانيات النص:

تتعامل لسانيات النص مع النصوص قيد التحليل من خلال منظورين أولهما يتعلق بالوصف النصي ويتعلق ثانيهما بالتحليل النصي.

1. **الوصف النصي:**

ومن خلاله توضح مكونات النص ابتداء من العتبات النصية حيث العنوان فالجمل فالتطرق إلى الموضوعات التي تم تداولها في النص، وتتعدى الدراسة الوصفية إلى إحصاء الروابط الموجودة في النص، ومحاولة تفسير سبب تواترها.

2. التحليل النصي:

تتوزع اشتغالات ومقاربات هذا العلم على المستوى النظري والعملي إلى موضوعات مهمة جدا، أوجزها "صبحي إبراهيم الفقي"[25] في ثلاثة مراحل وهي:

أ- الإحصاء للأدوات والرّوابط التي تسهم في التّحليل.

ب- الوصف لشكل النّص وموضوعاته والوصف لهذه الأدوات والرّوابط .

ج- التّحليل بإبراز دور هذه الرّوابط في تحقيق التّماسك النصّي مع الاهتمام بالسّياق والتّواصل. الملاحظ أنّ "**صبحي إبراهيم الفقي**"انطلق من الأدوات الإجرائيّة للسانيّات النصّية لتبيين مهامها ووظيفتها.

ويرى الدكتور"**صلاح فضل**" أن مهمّة اللّسانيات النّصية تتمثّل في وصف العلاقات الدّاخلية والخارجية للأبنية النّصية بمستوياتها المختلفة، وشرح المظاهر المتعدّدة لأشكال التّواصل واستخدام اللّغة، كما يتمّ تحليلها في العلوم المختلفة [26]، أما الدارس الإيطالي "دي بوجراند"

R. A.Debougrand فيقول :"أما العمل الأهمّ للسانيّات النّص فهو بالأحرى دراسة مفهوم النّصيّة ***Textuality*** من حيث هو عامل ناتج عن الإجراءات الاتّصالية المتّخذة من أجل استعمال النّص"[27].

وبالتالي تتحدد وظائف التحليل اللساني النصي انطلاقا من وصف العلاقات الداخلية والخارجية للأبنية النصية، مع شرح أشكال التواصل ومظاهر استخدام اللغة والوقوف عند تجليات الانساق والانسجام من أجل تحديد القوانين والمعايير التي تحكم البنية النصية وتضمن استمرارها.

أما "**محمد عبد اللطيف حماسة**" فيشترط للتحليل النصي أن"يؤسس على النص نفسه، ولا يمكن أن يصبح النص نصا إلا إذا كان رسالة لغوية تشغل حيزا معينا، فيها جدلية محكمة مضفورة من المفردات، والبنية النحوية تؤلف سياقا خاصا بالنص نفسه، ولأبناء اللغة سليقة تهديهم إلى معرفة النظام النحوي بكل أبعاده الصوتية والمعجمية والتركيبية تساعد على إدراك وحدة النص[28].

---

[25]- سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، ص:56.

[26]- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، مرجع سابق، ص:319.

[27]- روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، مرجع سابق، ص:95.

الفوائد التطبيقية للسانيات النص:

للسانيات النص فوائد تطبيقة في كل المجالات التي تمثل اللغة عنصرا قارا وأساسيا فيها، ذلك أن النص يمثل إحدى الدعائم الأساسية في التعليم الذي لا يتحقق بطريقة جيدة كما يرى "دي بوجراند" إلا من خلال نصوص حسنة التنظيم، لأن النصوص التي ترد في مقاطع نصية مفككة تجعل التعلم مضطربا وشاقا[29]. فكلما أحاط الطالب بخصائص النص الذي يدرسه تمكن من تصنيفه ويتوقف ذلك على الوعي بطريقة بنائه واشتغاله، بما في ذلك طرائق الربط بين أجزائه وكيفيات الانتقال من جزء إلى آخر[30]. ذلك أن البناء الجيد والمتماسك للنصوص من شأنه أن يسهم في بناء عقلية منظمة قادرة على التعامل المنهجي مع المعلومات وعلى اكتساب مهارات نصية متعددة كمهارة الحجاج (***argumentation***) والاستدلال مثلا، بالإضافة إلى اكتساب أنواع التفكير المنهجي كالتفكير التدريجي والتفكير التصنيفي...[31] ويرى "فان ديك" (***Van Dijk***) أنه بالإمكان أن يكون لعلم النص فوائد عملية في مجال فهم النصوص وإنتاجها، حين يدرك المتعلم أنه" يجب ألا تجري عملية التفسير أفقيا فحسب، بل بشكل موازٍ أيضا: يحلل مستخدم اللغة السياق والبنية النحوية للنص في الوقت ذاته ويركب جزءا من التمثيل الدلالي والبراغماتي للمنطوق[32]، ففهم النص لا يُكْتَفى فيه بالوقوف عند مقتضيات البنية السطحية حيث الوقائع اللغوية، بل يجب "أن يرتبط فهم النص دوما بفهم أحداث لغوية وتوجيه تفاعلات اتصالية[33]، لذلك "أصبح تحليل النصوص والتمرن على إنتاجها نشاطين مهمين، فتولدت أهمية التركيز على النص من حيث هو دعامة (***Support***) بيداغوجية بعد فشل الطرائق التي اتخذت من الجملة مرتكزا لها، يقول "فان دايك:" فلا يجب أن يفهم تلميذ ما جملا فقط، بل يجب أن يتعلم أيضا على أي نحو تنتظم المعلومات في نص أطول..."[34]، كما يمكن أن يتعلم هذه المهارة بشكل يمكّنه من تلخيص النصوص تلخيصا سليما وصحيحا، ليدرك كيفية ترابط البنية النّصية مع الوظائف البراغماتية والاجتماعية للنصوص.

وعليه لا يمكن تعلم أية لغة من خلال تدريس تراكيب وجمل معزولة عن سياقاتها كما كان عليه الحال مع البنويين، بل يتحقق ذلك بالانطلاق من وحدات تواصلية أوسع كالحوارات والنصوص بأنواعها وهو ما يكسب المتعلم كفاية نصية (***Compétence textuelle***) يستطيع بوساطتها أن يفهم وينتج نصوصا تغطي مختلف مناحي الحياة المحيطة به، بالإضافة إلى تيسير مقروئية النص(***Lisibilité du texte***) وقد ارتكزت هذه العملية في الماضي على معايير جزئية وسطحية تنظر في طول الكلمات وغرابتها والجمل وتعقدها، وأهملت ما تعلق بتنظيم النص والعوامل المتصلة بالمحتوى، فكانت جل الجهود مركزة في تيسير المقروئية على تخليص النص من الكلمات الصعبة وتبسيط الجمل المعقدة، ولكن تبيّن أن اللجوء إلى أسهل الأنماط يجعل التلميذ لا يتعامل إلا مع نصوص أدبيتها ضعيفة وهو ما يجعل مردودها البيداغوجي دون المستوى المطلوب، لأن التلميذ لا يبذل فيها جهدا. يقول "دي بو جراند":"وأرى أن

---

[28]– محمد حماسة عبد اللطيف، الإبداع الموازي – التحليل النصي للشعر، ص: 15.

[29] – محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، مرجع سابق، ص: 115.

[30] – المرجع نفسه، ص: 115

[31] – المرجع نفسه، ص: 116.

[32] – فان دايك، علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، تر/ سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، مصر، ط1، 2001، ص: 332.

[33] – المرجع نفسه، ص: 333.

[34] – المرجع نفسه، ص: 334.

مبدأ الاقتصاد في الجهد قد جُعل على سبيل الخطأ معيارا للأنشطة الإنسانية في عمومها ولقراءة النصوص بوجه خاص... ولقد أمدنا مبدأ الاقتصاد في الجهد بمستودع لكتب القراءة التافهة[35]".

إن هذا الإجراء قد أفقر النص وجرده من أهم مغريات القراءة التي تتمثل فيما يكتنف النص من غموض وما يحتويه من أساليب غير مألوفة.

تجدر الإشارة إلى أن الممارسة النصية التقليدية تناولت تحليل النصوص من أجل فهمها فاتخاذها منطلقا لتمارين كتابية أو شفوية وأهملت طريقة اشتغالها (***Fonctionnement***). فاللسانيات التقليدية تهتم بمفردات الظواهر اللغوية في عزلتها، حتى ليتعذر الوصول إلى صورة واضحة للاتصال في عمومه، نجد أيضا الاهتمام بالقطع المبعثرة من المعلومات في التعلم تجعل التعلم شاقا بلا ضرورة[36] إن الجهل بالبعد النصي(***Dimension Textuelle***) يكرّس اعتبار النص وعاءً من المفردات يتطلب بعضها الشرح والتفسير من أجل تدعيم الرصيد المعجمي للتلميذ بمفردات جديدة، أو اعتباره أيضا خزانا لصيغ وتراكيب بالإمكان حفظها والنسج على منوالها[37]. لا شك أن لهذه العمليات فوائد غير أنها تحصر التعامل مع النص في مستوى الجملة وتهمل البعد النصي، فيحصل أن يتمكن التلميذ من تكوين جمل سليمة وتحديد وظائف الكلمات وقد يكتسب ثروة لفظية معتبرة إلا أنه لا يستطيع إنتاج نص كتابة أو مشافهة.

كما تعتمد الطرائق القديمة على تصنيف النصوص وفق ما يسمى بالمحاور(محو الحياة الاجتماعية، محور الحياة الثقافية) مما يجعل كل مجموعة من النصوص تحتوي على موضوع واحد أو متقارب، والهدف من ذلك إكساب التلميذ الألفاظ التي يشيع استعمالها في هذا الحقل أو ذاك، غير أن ما لم ينتبه إليه أنصار هذه الطريقة أن اللغة ليست ألفاظا فحسب بل هي بالإضافة إلى ذلك تراكيب ونصوص يحدد مميزات كل واحد منها السياق الذي ورد فيه والظروف التي أنتج فيها، وعليه يجب ألاّ ينظر إلى نصوص يبدو عليها الانسجام بفعل اشتراكها في الموضوع فقط بقدر ما يؤخذ بعين الاعتبار في جمع هذه النصوص وتنظيمها شروط إنتاجها التي تكون قد جعلتها متشابهة في بنيتها، ويجعل تراكيب معينة تتكرر فيها باستمرار وهو ما يمكن التلاميذ من التمرن على الألفاظ والتراكيب الأكثر تواترا وعلى بنية النص ككل. وبالمقابل يرى بعض البيداغوجيين أنه بالإمكان اعتماد تصنيف للنصوص مغاير للتصنيف حسب المحاور، ويتمثل ذلك في تصنيف النصوص حسب المهارة النصية التي نريد تعليمها للتلميذ، والمهارات النصية محدودة مقارنة بالنصوص، وعليه بالإمكان تصنيف النصوص كالآتي:

نصوص سردية أو يغلب عليها الطابع السردي، **نصوص وصفية** أو يغلب عليها الطابع الوصفي، **نصوص تعبيرية** أو يغلب عليها الطابع التعبيري، **نصوص استدلالية** ويغلب عليها الطابع المنطقي الاستدلالي.

إن الفائدة البيداغوجية المحققة من معرفة خصائص كل نص هي أن التلميذ إذا استوعب ميكانزمات نوع معين من خلال تعامله مع نماذج منه فإنه يكتسب كفاية نصية تيسّر له التعامل مع أي نص، بحيث يتوقع أشياء في النص قبل الوصول إليها.

---

[35] – روبير دي بوجراند، النص والخطاب والاجراء، ص: 565.

[36] – روبير دي بوجراند، النص والخطاب والاجراء، ص: 559.

[37] –محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص:119.